راعيل -امرأة العزيز

(الجميلة في المنبت السوء)

راعيل ـ امرأة العزيز

(الجميلة في المنبت السوء)

النشأة والبيئة:

اسمها راعيل –وهي امرأة عزيز مصر (**رئيس مجلس الوزراء –أو وزير المالية في العصر الحديث**) والذي يقوم علىٰ خزائن الأرض، واسمه قطفير –وكان ملك مصر وفرعونها في ذلك الوقت هو (**الريان بن الوليد**).

ذكر الطبري أن قطفير كان رجلاً لا يأتي النساء، وكانت امرأته حسناء ناعمة في ملك ودنيا، كما ذكر أن عمر يوسف عليه السلام عندما ألقي في البئر 17 عامًا، وأنه أقام في منزل العزيز 13 عامًا، فلما اشترىٰ العزيز يوسف عليه السلام قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف:21].

فيبدو أن العزيز وامرأته لم يرزقا أولادًا، وأن هناك حالة يأس أو شبه يأس من الولد – فمن المتوقع أن يكون رئيس وزراء مصر لا يقل عمره عن 40 عامًا، وأن زوجته حوالي 30 عامًا.

ونحاول أن نتصور البيئة التي عاشت فيها امرأة العزيز – فهي من طبقة أرستقراطية شبه منعزلة عن باقي المجتمع من الطبقات الكادحة، فقد عاشت في جو القصور حيث الخدم والحشم وجمال المنظر والشكل، والمشهد الذي يصور امرأة العزيز وهي تستضيف صديقاتها وأنها أعتدت لهن متكأ وأعطت كل واحدة منهن سكينًا علىٰ مائدة الطعام يوحي بمدىٰ تطور الحضارة في ذلك العصر، ومستوىٰ التنعم الذي كانت تعيشه امرأة العزيز – هذا مع الفراغ النفسىٰ والعقلي، فلا ولد ولا زوج يحقق السكن، ولا انشغال بقضايا المجتمع، والمساهمة في حل مشكلاته من أعمال بر وخير، ولا إيمان وورع يكبح جماح الشهوة، ويحيي الضمائر ويرفع النفوس والعقول.

نتوقع أن تكون قصتها مع يوسف قد بدأت في سن (30 –40) وأن يوسف 25 عامًا أو حواليها.

وقد كانت حياة القصور مغلقة، لا يكشف عما يدور بداخلها، وكل ما يهم رب البيت المظهر الخارجي فقط، ولا مانع من وجود فواحش داخل القصر، المهم ألا تخرج عن جدرانه، هذه هي بيئة امرأة العزيز التي عاشت فيها لكي نعرف ما كان يدور بخلدها.

كيد النساء:

إن كيدهن عظيم.. هي صفة وطبيعة في كثير من النساء وهي القدرة علىٰ الحيلة والمكر والخداع، فهل هي صفه محمودة أم مذمومة؟

أرىٰ أنها إذا استعملت في الخير تكون محمودة، فالمرأة عندها قدرة فائقة علىٰ كسب قلب زوجها إن أرادت هذا؛ عندها قدرة فائقة علىٰ مصاحبة أبنائها ومراقبتهم ورعايتهم دون أن يشكوا في إخلاصها لهم؛ عندها قدرة فائقة علىٰ حسن الصلة بأهل زوجها وتحسين العلاقة بين زوجها وأهلها..وهكذا.

وأما عندما يخلو قلب المرأة من الإيمان بالله وخشيته فسلاح الكيد لديها يكون بمثابة القنبلة الموقوتة التي تفجر الشر تفجيرًا.

ألوان الكيد في قصة امرأة العزيز:

1- **مراودة فتاها عن نفسه:**

لقد غلّقت الأبواب، وقالت: هيت لك، ولم تكن هذه مفاجأة بلا تهديد في إغراء طويل، فكان أمر التصريح بمثابة الدعوة الأخيرة بعدما نصبت شباكها علىٰ مدىٰ سنوات طويلة.

وكثيرًا ما نجد في عصرنا امرأة تنصب شباكها حول رجل متزوج أو غير ذلك، وقلما يصمد الرجل إلا إذا استعصم بالله تعالىٰ، فهو حقًا كيد عظيم، ولا تفعل ذلك إلا من محيت التقوىٰ من قلبها.

2- **إلقاء التهمة على يوسف:**

وهذا هو قمة الجبروت أن تلبس المجني عليه التهمة، وكثيرًا ما تفعل ذلك النساء غير الفضليات في خصومهن.

3- **الكيد للنسوة:**

وهذا الكيد يدل علىٰ أن امرأة العزيز كانت لاتفكر إلا في هذا الأمر؛ بحيث وجهت

كل طاقتها وفكرها وقوتها في الحيلة والمكر تجاه هذا الأمر.

وكيد النساء بعضهن لبعض مشهور في كل عصر؛ حيث إن المرأة تحب أن تبدو في صورة جيدة أمام قريناتها، وتحب أن تتعالىٰ عليهن وتغيظهن بشتىٰ الوسائل.

ولكن في حالة امرأة العزيز يبدو أن المجتمع والطبقة الأرستقراطية بالذات كانت في انحلال أخلاقي كبير لدرجة أن إعلان الفاحشة فيه أمر طبيعي، كان حديث النساء من قبل في لومهن لامرأة العزيز، لا لأنها تقدم علىٰ الفاحشة؛ ولكن لأنها راودت فتاها عن نفسه وهو خادمها وأقل منها في المكانة، وعندما كادت لهن امرأة العزيز أرادت أن يعذرنها في رغبتها، ثم حدث ما أرادت، وأخذ النسوة يطلبن من يوسف الاستجابة لسيدته؛ بل إنهن راودنه كذلك عن نفسه، وأخذن يحسدنها علىٰ وجود هذا الفتىٰ عندها.

فالإنسان بلا إيمان وبلا صلة بالله تعالىٰ يصبح كالحيوان الذي لايعرف من الدنيا سوىٰ شهوته.

4- الكيد لإدخال يوسف السجن:

بعد أن شاع خبر راعيل بين الناس وافتضح أمرها، وبعد أن امتلأ قلبها غيظًا من يوسف لعدم استجابته لرغبتها المحرمة دبرت له مكيدة جديدة؛ وذلك بأن قالت لزوجها لتوغر صدره ضد يوسف -كما ذكر الطبري- (**إن هذا العبد قد فضحني بين الناس، يعتذر إليهم لخبرهم أنني راودته عن نفسه، ولست أطيق أن أعتذر بعذر، فإما أن تأذن لي أن أخرج إلىٰ الناس وأعتذر علنًا، وإما أن تحبسه كما حبستني في البيت**) فحبسه بعد علمه ببراءته، وعلم النسوة جميعًا ببراءته دفعًا للتهمة عن امرأته، فأهم شيء عند العزيز سمعته وهيبته أمام الناس فحسب.

وإذا عجز رجال البيوتات عن صيانة بيوتهن ونسائهن فإنهم ليسوا بعاجزين عن سجن فتىٰ بريء، كل جريمته أنه لم يستجب، وأن امرأة من الوسط الراقي قد فتنت به وشهرت بحبه ولاكت الألسن حديثها في الأوساط الشعبية.

هذه هي المرأة عندما تتجرد من الإيمان، تستطيع أن تلبس الحق بالباطل، ولكن صدق الإيمان يدعو صاحبه لأن يلهج بهذا الدعاء: (**اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه**).

امرأة العزيز تعترف بالحقيقة

مرت السنوات في السجن -حوالي سبع سنوات أو تسعة- ثم أظهر الله تعالىٰ براءة نبيه يوسف عليه السلام وبعد طول كتمان راعيل لما وسوس به الشيطان لها في نفسها من فعل سوء، وبعد كثرة مؤامراتها وكيدها ليوسف وخداعها لزوجها، ضاق صدرها بما تخفيه، وانهارت أمام انتشار خبرها بين الناس، ولم تعد تقوىٰ علىٰ الإنكار بعد اعتراف النسوة اللاتي قطعن أيديهن أمام الملك، وأخيرًا صحا ضميرها، واعترفت بكل شيء، وأكّدت صدق يوسف، وقالت راعيل لزوجها العزيز: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف:51] .

توبة امرأة العزيز:

الاعتراف بالخطأ والندم عليه هو أول خطوات التوبة وقد قالت: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:53].

وبعد أن ظهر الحق، تبدلت الأحوال وعيّن الملك يوسف أمينًا علىٰ خزائن مصر وفوّض إليه أمر مصر، وعزل قطفير زوج راعيل عما كان عليه، وعين يوسف مكانه، ثم مات قطفير عن قريب فزوج الملك يوسف براعيل، فلما دخل عليها قال لها: **(أليس هذا خير مما كنت تريدين مني)** فقالت له: **(أيها الصديق إنها كانت وساوس الشيطان، وقد ندمت واعترفت بالحقيقة وتبت فسامحني)**.

وهكذا فإن باب التوبة مفتوح أمام كل راعيل في كل عصر، وقد وصف الله لنا هذا النموذج المتكرر من النساء حتىٰ نأخذ منه العبرة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:111].

خواطر وعبر:

وحتىٰ نتجنب وجود رواعيل في مجتمعنا علينا الآتي:

1- تربية البنات منذ نعومة أظافرهن علىٰ الصلة بالله، وخشيته في السر والعلن.

2- توجيه المجتمع إلىٰ محاربة التبرج والتبذل والاختلاط غير المنضبط.

3- تربية البنات علىٰ عدم الإفراط في التدليل **(اخشوشنوا فإن النعمة لاتدوم)**.

4- تثقيف البنت وربطها بقضايا المجتمع ومشكلاته.

5- شغل وقت فراغ البنت فيما يفيد (**علم، عمل خيري، مهارة....**)

6- توجيه نظر العلماء إلىٰ توجيه خطابهم إلىٰ الطبقة الراقية في دعوتهم وأحاديثهم.

7- انتباه الأهل إلىٰ صديقات بناتهم؛ فالصحبة لها أثر بالغ في التأثير.

8- لفت نظر البنات لتجارب الأخريات؛ لأخذ العبرة من ذلك وكذلك تجارب من تكبرهن سنًا.

9- الاهتمام بالمرأة وتربيتها حتىٰ تستعمل مواهبها وطاقتها في الخير.

* * *